الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف - ميلة -

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

توظيف السياسة في رواية " في عشق امرأة عاقر" - لسمير قسيمي -

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي

إعداد الطلبة:
* -بخوش رضوان
*-خلوفي فارس
*-طغان عماد

- إشراف الأستاذ :
-بن سخري زوبير

السنة الجامعية: 2016/2015

إهـــــــــــداء

نـهدي هذا العمل

إلـــــــــــــــى كل الخيرين في هذا الوطن

... إلى الجـــــــــــــزائر

فـــــــــــارس- عمـــــــاد - رضوان

شكر وتقدير

إذا شكرنا فالله أحق وأولى بالشكر، وأول من يشكر . فنشكر الله على توفيقه لنا على إنجاز هذا العمل .

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف " بن سخري زوبير" الذي لم يبخل علينا بنصائحه القيمة و صبره علينا.

كما نتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ "عبد الباسط طلحة" الذي ساعدنا كثيرا في هذا العمل .

و لا ننسى كل أساتذة المركز الجامعي وكل من ساعدنا من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا العمل .

بسم الله الرحمن الرحيم

1- علاقة الرواية بالسياسة:

يعتبر الأدب مرآة عاكسة للمجتمع،و ذلك لعلاقته الوطيدة و الوثيقة به فهو غالبا ما يصور لنا مجرياته و أحداثه في قالب فنّي يختلف من نمط أدبي إلى آخر.

و كنتيجة لهذه العلاقة الوطيدة التي نشأت بين الأدب و المجتمع، ظهر في الساحة الأدبية نوع أدبي جديد يسمى بالرواية؛ هذه الأخيرة التي لم يوجد لها تعريف محدد نظرا لتطورها المستمر حيث يرى ميخائيل باختين" أن تعريف الرواية لم يجد جوابا بعد بسبب تطورها الدائم "[1].

و تكمن مهمة الرواية بالدرجة الأولى في نقل فني لأحداث و وقائع غالبا ما تكون حقيقية، في صورة فنية و جمالية تكون بعيدة عن التقريرية الجامدة، دون مراعاة للتسلسل الزمنـــي أو منطق السببية،فالرواية في تطور دائم و ذلك لعلاقتها الوطيدة بالمجتمع فهي تتطور بتطوره و تختلف باختلاف الأحداث الإجتماعية والسياسية،فالعلاقة بين الأدب و المجتمع هي علاقة تأثير و تأثر، و باعتبار الرواية جنسا أدبيا فهي تتأثر بالواقع السياسي بالدرجة الأولى هذاالأخيرالذي ينعكس على المجتمع،فالسياسة من هذا المنطلق ظاهرة اجتماعية وجدت لها مكانا في الحقل الأدبي بصفة عامة و الرواية بصفة خاصة فهي تساهم بشكل فعال في تصوير الواقع السياسي و من ثم الواقع الإجتماعي لمجتمع ما وتترجمه بطريقة فنية تكون أقرب إلى المتلقي.

و لأن الرواية هي تعبير عن الواقع و تجسيد له قفد سايرت الرواية الجزائرية مختلف الأحداث الإجتماعية و السياسية عبر مراحل تاريخية بداية بالثورة التحريرية تم سايرت النظام الإشتراكي

1- باختين ميخائيل: الملحمة و الرواية ، تر: جمال شحيذ ، كتاب الذكر العربي ، بيروت ، لبنان ، 1982، ص 66.

خلال فترة السبعينات و الثمانينات تم دخلت مرحلة جديدة خلال فترة التسعينـات و هي فترة العشرية السوداء،فكانت الأزمة السياسية و الاجتماعية المادة الأولية للرواية الجزائرية المعاصرة.

و نظرا لهذا التلاحم بين الأدب و المجتمع كانت الرواية حاضرة في نقل و تصوير الواقع المرير الذي مرت به الجزائر في فترة التسعينات، حيث اعتبرت الرواية خير شاهد على تلك الفترة السوداء التي مرت بها الجزائر، محاولة التغلغل في ثنايا الأزمة الجزائرية و إبراز ما حاول التاريخ طمسه و إخفاءه، فقد نقلت لنا و بشفافية الظروف الصعبة التي عاشها الفرد الجزائري، حيث أصبح يترقب وفي كل دقيقة الموت المحتمل، ويتصور في كل لحظة الطريقة التي سيموت بها. ما أدخله في متاهة من الخوف و القلق ، و على هذا الأساس تعد الأزمة الجزائرية من أكثر الموضوعات حضورا في الرواية. و اختلفت نظرة الروائيين إليها كل حسب إيديولوجيته، و لكن على الرغم من هذا الإختلاف إلا أننا نكاد نلمس لديهم قاسما مشتركا تمثل في إظهار علاقتهم الروحية و النفسية بها فنتج عن هذه المحنة نوع جديد من العطاء الأدبي الفني و المتمرد على الواقع المرير و البوح بالمعاناة التي يحس بها الروائي جراء هذه الأزمة. وهو ما يسمى بأدب الأزمة أو أدب المحنة، هذا الأدب الذي تجرأ على "رفع الغطاء على أحد أكثر المحرمات في المأساة الجزائرية التي حرصت السلطات الحاكمة على ألاّ يقترب أحد منها"[1]، حيث حاول هذا النوع الأدبي في تلك الفترة نقل المعاناة التي عاشها المجتمع الجزائري. و لا يخفانا أن الأدب الجزائري مرّ بفترات توتر و قلق كثيرة، و لم يعرف الإستقرار منذ بداياته الأولى فهو دائم الصراع الإجتماعي و السياسي و حتى الإيديولوجي. هذا الصراع الذي ينقله لنا

1- حبيب سويدية : الحرب القذرة ، تر : روز مخلوف ، دار ورد ، سوريا ، ط1 ، 2003، ص 1.

الأديب من خلال ما يصادفه في حياته اليومية من محن و أزمات. و صحيح قول هنري هدسن: "عنايتنا بالأدب ترجع أولا و قبل كل شيء إلى أهميته الإنسانية العميقة... فالأدب سجل حي لما رآه الناس في الحياة و ما خبروه منها، و ما فكروا فيه وأحسوا به. "

فثقل السنوات الدموية و الحياة المشؤومة والجحيم الذي عاشه الجزائري في تلك الفترة، صار سقما لا شفاء منه و علة لا دواء لها، سوى الكتابة في لحظات الفرار من الزمن والتخلص منه لأنه أصبح زمنا مريضا، يحمل العار كما يحمل رائحة الموت النتنة التي تلاحق الفرد الجزائري في كل حركاته و سكناته. فلهذا الأدب فضل كبير في إيضاح المشهد الإجتماعي و السياسي و حتى الديني في سنوات التسعينات السوداء " و ذلك لأن النص السردي يعد من أكثر النصوص الأدبية الروائية استحضارا للمعالم التاريخية و للمظاهر الإجتماعية و للأنساق الفكرية و الإيديولوجية " ، و للرواية صلة ليست بسطحية بالمآسي و الأزمات، " إذ ليست تزدهر الرواية و يبرع جمالها إلاّ حينما يتكدر واقع الإنسان"[1]، و هذا الأمر حاضر و بقوة في رواية المحنة فهي لم تُكتب إلاّ بعد تأزم الوضع في البلاد و تذوق مرارة المحنة، و هذا ما خوّل لأقلام الروائيين التربع على عرش الكتابة في هذا المجال، وشغلهم بها عن غيرها من المواضيع حيث سيطرت على أفكارهم و أقلامهم، وسكنت في أرواحهم و نفسيتهم و وجدانهم.

و مما لا شك فيه أن العنف و بأنواعه المختلفة سيطر على الرواية الجزائرية في فترة التسعينات. و هذا أمر طبيعي، إذ أن الرواية تعتبر مرآة عاكسة لما يحدث في المجتمع. فقد تم

1- محمد الأمين بحري: بنية الخطاب المأساوي في رواية التسعينات الجزائرية، مذكرة دكتوراه، إشراف: السعيد جاب الله، جامعة العقيد الحاج لخضر، 2008-2009، ص146.

استخدام القوة و القسوة و العنف السياسي " لتحقيق مصالح خاصة، أو نشاطا سياسيا يهدف إلى تحقيق أهداف سياسية معينة"[1]، و نقصد هنا بالعنف السياسي من حيث هو السمة التي تغطي مفهوم الإرهاب، على أساس أن العنف هو استعمال القوة أو التهديد باستعمالها بغية إلحاق الأذى بالآخر. بالإضافة إلى استخدام العنف الإجتماعي، من خلال أفعال منفردة أو جماعية تستهدف أشخاص أو جماعات أو مؤسسات، سواء بالضرب والسطو أو الإغتصاب و التكسير، و هذا العنف ترسب في شخصية الفرد الجزائري الذي لم يعرف الإستقرار. و ظهر بصفة واضحة خلال سنوات الأزمة السوداء، حيث أصبح ينتقل جينياً في الأجيال وعليه " فإن للمجتمع قدرة التأليف و التصوير، و قد عمل على إنضاجها الزمان و المكان و الحال السياسية و الإجتماعية ولسنا نحتاج إلى أن نذكر الدين فإنه أظهر أثراً من أن نشير إليه"[2] ، و من هنا فإن العامل المنشط الذي دفع بالرواية إلى النضج الفني و أكسبها خصوصيتها، هو تلك التحولات السياسية والإقتصادية و الإجتماعية و كذا الثقافية.

حيث أطلق على هذا النوع الروائي الجزائري مصطلح " الأدب الإستعجالي لأنه ولد نتيجة الظروف المفاجئة التي طبعت المجتمع الجزائري في مجال الإرهاب"[3]، و رغم هذا الإستعجال إلاّ أنه تم تناوله و دراسته بصفة كبيرة و كان مؤرخاً لمرحلة من أعنف المراحل التي مرت بها الجزائر بعد الاستقلال، و نقل لنا هذه النكسة و المأساة بصوت مبحوح مخنوق، و على الرغم

1 – حميدة سميسم: الحرب النفسية، الدار الثقافية للنشر، بغداد، العراق، د ط، د ت، ص199.

2–جابر عصفور: المرايا المتجاورة في نقد طه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، د ط،1983،ص81.

3–سعاد حمدون : صورة المثقف في روايات بشير مفتي، مذكرة ماجستير،إشراف:لبوخبوجملين ، جامعة قاصدي مرباح،2010،ص 19.

من هذه البحة و الخنق غير أنه أبى إلاّ أن يوصل الصورة الحقيقية لذلك الكابوس المرعب، دون تردد و لا خوف من الظروف القاهرة التي كانت تسود تلك الفترة و الوقوف في وجه السلطة و المتطرف على حد سواء، و تحمل لنا الذاكرة الأدبية مجموعة هائلة من الكتابات الدموية التي تناولت الظاهرة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر؛ " ذاكرة الماء ، سيدة المقام ، حارسة الظلال " لواسيني الأعرج ، " ذاكرة الجسد " لأحلام مستغانمي ، " كراف الخطايا " لعيسى لحيلح ، " تيميمون " لرشيد بوجدرة ، " جدار الصمت ، وطن من زجاج " لياسمينة صالح، و حملت لنا هذه الإجتهادات الأدبية صورة واقع متشرذم و متبعثر كان يمر بفترة حالكة قاتمة يسيطر عليها هاجس الرعب و عنف وهمجية المتطرف، فهذه المعالم القاتمة تشكلت في ذاكرة الروائيين و الفنانين و عكست لنا حقيقة الوضع المتأزم آنذاك.

و من أكثر الآليات التي توضح مدى ارتباط الرواية بالواقع المعاش، خطاب هذه الروايات الذي " يستخدم في الغالب الكلام اليومي، الذي يعطي الشخصية هويتها المميزة"[1]، كما يحرص هذا الخطاب على إخراج ما يخالج النفس من مكبوتات و مآسي تنبع من رحم المعاناة، و التي لا يجد الروائي فرصة لإخراجها إلاّ عن طريق تلك الحرية التي يعطيها الروائي للشخصيات في استعمال لغتها العامية البسيطة و بهذا "ينسج الخطاب الروائي عالمه الخاص"[2]، و يعطي الهوية الحقيقية للشخصية و يفردها بمعاناتها و أحلامها الذاتية وهذا التغير الذي طرأ على الفن الروائي لم يكن إلاّ استجابة للتغيرات التي طرأت على المجتمع، لأنه و كما يؤكد طه حسين

1- الشريف حبيلة: الرواية والعنف دراسة سوسي ونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2010، ص06.

2-المرجع نفسه، ص07.

"أن الظواهر الثقافية – و منها الأدب –ظواهر اجتماعية أساسا"1، و عليه " أصبحت التحولات هي السمة الأبرز في الرواية العربية – بصفة عامة – شكلا و مضمونا. "2

و عموماً. قد عبرت رواية المحنة عن أزمة سياسية واجتماعية و إيديولوجية عاشتها الجزائر بكل عنفها و جورها و دمويتها التي لم تفرق بين امرأة و رجل، و لا مثقف و لا جاهل، و لا فرد و لا جماعة، حيث راح القتل الهمجي ينتشر كسرب من الظلام نازحاً نحو المدن و القرى دون تمييز، فعبث بالأحاسيس و مزق ستار الأمان و سكن كيان الإستقرار، فذهبت على إثره الطمأنينة و السكينة، و حل محلها الخوف و القلق الذي طبع النفوس فانطبع في رواية المأساة الوطنية.

1–جابر عصفور : المرايا المتجاورة في نقد طه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر ، د ط،1983،ص 69.

2–نزيه أبو نضال : التحولات في الرواية العربية ، المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر ، عمان ، الأردن ،ط1 ، 2006، ص 231.

مقدمة :

من المعروف أنّ الخوض في غمار أي بحث يكون له بواعث و تأثيرات سابقة. و بعد الاطلاع على ما حدث و ما كتب في فترة التسعينات الدموية في الجزائر، أثار حفيظتنا هذا الموضوع، ولفتت انتباهنا تلك القفزة النوعية للرواية الجزائرية آنذاك، متحدية جميع العوائق و الصعوبات، مبرزة صوت المغامرة و الصمود.

فلما امتزج المشهد الجزائري بتلك التغيرات السياسية و الاجتماعية و الدينية، تشكل منعرج حاسم في تاريخ الرواية المعاصرة، فبعد تلك المواجهة الدموية الأهلية الأولى من نوعها في تاريخ الجزائر، لم يكن للأديب خيار إلاّ أن يتوحد مع هذه التحولات، و يواكب تلك التطورات في الأحداث الواقعية. فأنتج لنا أدباً مأساويا أطلق عليه« أدب الأزمة » أو« أدب المحنة » أو« الأدب الإستعجالي »، و للإشارة فإننا لم نتبع مصطلحاً واحداً في بحثنا و إنما ارتأينا أن نطلق عليه معظم هذه التسميات لإعطائه صورة مأساوية أكثر عمقاً.

فرواية الأزمة نقلت لنا الصورة الحقيقية لواقع الأمة في تلك الفترة، و كيف سيطر عليها الخوف و القلق و بخاصة المثقفين فيها، فالمواجهة كانت ظالمة و غير منصفة، بين متطرف متعصب متعطش للدماء،و بين فرد بسيط لا يملك إلاّ قرطاسا و قلماً للمواجهة، فكان اقتحام هذا الموضوع رغم ما يحيط به من صعوبات تمنحه طابع التحدي مغامرة مثلما كانت الكتابة في عشرية الموت مغامرة. فإلى أي مدىً استطاعت الرواية الجزائرية أن تعكس تاريخ الأزمة التي مرت بها الجزائر؟ و هل يمكن المزج في قراءة الأزمة بين الإشكاليتين الإيديولوجية و الفنية الأدبية؟ و كيف أثرت هذه الأزمة في الأدب الجزائري؟

و إيماناً مناب أننا سنجد أجوبة لهذه الأسئلة في فرصة ما، جاء هذا البحث الذي اتسم بتوظيف السياسة في رواية "في عشق امرأة عاقر" لسمير قسيمي ليخلصني من تعب هذه التساؤلات، و يبحث لها عن أجوبة تكفيها عن النخر في الذاكرة. و هذه من الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع، فقد وقع اختيارنا على المنهج الوصفي للتعمق أكثر في دراستنا للأزمة، مع الاستعانة في بعض الأحيان بالمنهج السيميائي في التأويلات التي تبعد قليلا بعض الغموض الذي يسود النص المدروس.

وكانت خطتنا المتبعة في هذا البحث متشكلة من: مقدمة و مدخل و فصلين ثم خاتمة. حيث استعرضنا في المدخل علاقة الرواية بالسياسة في فترة العشرية السوداء ،ثم عمدنا في الفصل الأول إلى دراسة التمثيل السردي للسياسة متطرقين بذلك إلى مفهوم التمثيل وكذا مفهوم التمثيل السياسي ،بعدها قمنا بتحديد مفهوم الايدولوجيا و علاقتها بالأدب و السياسة

أما في الفصل الثاني فقد تحدثنا عن تمظهرات السياسة في رواية "في عشق امرأة عاقر"لسمير قسيمي مبرزين أسلوب الكاتب في توظيف الأحداث السياسية و جماليتها في الرواية و الغرض من توظيفها ،بالإضافة إلى إشكالية الهوية و علاقتها بالسياسة.

وفي الأخير أدرجنا الخاتمة التي توصلنا من خلالها إلى أهم النتائج و الأفكار المستخلصة من هذا البحث.

و كأي بحث علمي يسعى إلى كشف الحقائق و رفع الستار عن المحرمات السياسية والدينية، أو غيرها من الطابوهات، فقد صادفتنا مجموعة من الصعوبات و العراقيل نذكر منها:طبيعة

الموضوع الذي تتشابك فيه خيوط كثيرة و معقدة تستلزم استثارة حقول معرفية مختلفة،بالإضافة إلى غموض بعض المراجع في نقلها لأسباب الأزمة و التحيز لمذهب دون آخر.

و بخصوص المصادر المعتمدة في هذا البحث، كانت رواية " في عشق امرأة عاقر" لسمير قسيمي. أما بالنسبة للمراجع فقد كان من أبرزها " الرواية و العنف " للشريف حبيلة، " التحولات في الرواية العربية" لنزيه أبو نضال و " المتخيل السردي التمثيل الثقافي" لمنير مهادي.

و لا ننسى أن نقتطف هذه المساحة لنقول أن هذا البحث ما كان ليرى ضوء الدراسة الأكاديمية لولا مساعدة الأستاذ المشرف« الزوبير بن سخري»الذي قدم لنا كل الدعم المعنوي لإنجاح هذا البحث المتواضع فله منا كل التقدير والعرفــان و جزيل الشكر والامتنان. و إلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد في إنجازه

و ختاماً فإننا حاولنا جاهدين أن يكون هذا البحث على الصورة التي ارتجيناها فان كان فقد وفقنا فالحمد لله من قبل و من بعد، و إن اعتراه النقصان أو شابه التقصير، فإن الكمال لله وحده.

المبحث الأول

1-مفهوم التمثيل:

يعتبر هذا المفهوم من أهم مفاهيم السرديات يعود في أصله إلى حقل السياسة و يعني أن يكون التمثيل وظيفة الممثلين الذين يفهمون بمعنى من يتحدث بالنيابة، و قد يكون بمعنى تمثيل شخصية معينة من لدن ممثل، و هو المعنى الذي يعود تاريخه إلى القرنين السادس عشر و السابع عشر، " يقوم المحامون بتمثيل موكليهم في الديمقراطيات البرلمانية و يتخذ النواب أو الممثلون قرارات النيابة عن السكان الذين يمثلونهم، و بهذا المعنى تقابل الديمقراطية التمثيلية ديمقراطية المشاركة "[1]

فالتمثيل هو نيابة شخص عن آخر أو مجموعة من الأشخاص في إطار معين وقد تطور هذا المفهوم في ما بعد و" شكل موضوعه مشكلة معيارية في فلسفة المعرفة وصارت تحتل مكانا مهما في الدراسات الإعلامية و الثقافية "[2]

وما يهمنا هنا هوالتمثيل ببعده الأدبي فهو رصد أجزاء في الواقع أما التمثيل السردي فيكون عبر فعل التخيل.

فالأدب مادته اللغة والتمثيل "يتم بواسطة أدوات متعددة لعل في طليعتها اللغة فبها يلجأ المبدع إلى تمثيل المشاعر و الأحاسيس و الرؤى التي تعتمل في كيانه فيحققها تمثيلا من خلالصور

1 – طوني بنيت: معجم مصطلح الثقافة ،والمجتمع ترجمة: سعيد الغانمي .المنظمة العربية للترجمة ،بيروت ،لبنان، ط1، 2010

2 – المرجع نفسه ، ص 213

ينسجها مستفيدا مما توفره المخيلة باعتبارها خزانا رمزيا كبيرا"[1] فتنقل وقائع علمية بواسطة ملكة التخيل ،فاللغة داخل الأدب تعمل في منظومة كلية تسمى السرديةفيصبح موضوع ما بمثابة تمثيل سردي والذي هو عبارة عن"كل خطاب يقدم لنا حكاية خاصة عن ظاهرة أو قضية مخصوصة"[2]

2-أنواعه

كل خطاب سردي يحمل في طياته أنماطا معينة من التمثيل لظاهرة معينة ولعل الرواية هي أكثر الأنماط السردية قدرة على التمثيل،و نستعرض فيما يلي أبرز أنواعه:

أ-**التمثيل السردي:**هو «أحد أكثر الموضوعات المثيرة للجدل في أوساط المختصين في الدراسات السردية و الكيفية التي تتشكل بها المادة السردية و طرائق تركيبها و أساليب السرد،و الرؤى و المنظورات التي من خلالها كل عناصر البناء الفني و أخيرا الإحالات التمثيلية للنصوص على مرجعيات من خلال درجات متعددة من مستويات التأويل»،

فالتمثيل السردي يتيح للباحث التعرف على بعض الخلفيات المرتبطة بموضوع النص الأدبي ، والسرد يجمع شتى أنواع التمثيلات فالإنسان يلجأ إلى السرد لتمثيل مختلف أنماط حياته كما يؤكد أحد النقاد «أن الأمم في ذاتها سرديات ومرويات وأن القوة على ممارسة السرد أو على منع سرديات أخرى من أن تكون و تبزغ وهي كبيرة الأهمية بالنسبة للثقافة

1 - إدريس الخضراوي :الرواية العربية و أسئلة ما بعد الاستعمار، رؤيا النشر والتوزيع ، القاهرة ،مصر، ط 1، 2012، ص 54.

2- منير مهادي:المتخيل السردي و التمثيل الثقافي عند عبد الله إبراهيم، ضمن فلسفة السرد ، ص 364.

والإمبريالية»[1]، فالسرد له قدرة كبيرة على إثارة قضايا ونقاشات جريئة، وتجدر الإشارة إلى أن التمثيل السردي لا يركز على الجوانب الجمالية أو الواقعية أو الخيالية فقط،بل يتعدى ذلك إلى تمثيل ظواهر متصلة بكينونة الإنسان،كالتاريخ مثلا كما حدث في روايات جورجي زيدان"فقد ظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر لتقدم سلسلة شبكة متكاملة تقوم على تمثيل سردي تاريخي للأحداث العربية الإسلامية منذ العصر الجاهلي إلى الانقلاب العثماني"[2]، ففي هذه الروايات وجدنا التمثيل السردي يقدم صورا عن بعض الأحداث التي وقعت في الحياة العربية القديمة .

يؤدي السرد بوصفه وسيلة تشكيل مادة الحكاية وظيفة تمثيلية شديدة الأهمية في الرواية فهو يقوم بتركيب المادة التخيلية ،وينظم العلاقة بينها وبين المرجعيات الثقافية الواقعية بما يجعلها تندرج في علاقة مزدوجة مع مرجعياتها، فهي متصلة بتلك المرجعيات لأنها استثمرت كثيرا من " مكوناتها و خاصة الأحداث و الشخصيات و الخلفيات الزمانية و الفضاءات لكنها في الوقت نفسه منفصلة عنها لأن المادة الحكائية ذات طبيعة خطابية فرضتها أنظمة التخيل السردي، فالسرد في و ظيفته التمثيلية يركب و يعيد التركيب و يخلق ويعيد خلق سلسلة من عناصر البناء الفني "[3] .

1- عبد الله ابراهيم : السرد و التمثيل السردي في الرواية العربية لمعاصرة ، مجلة علامات العدد 16 ماي 2001،ص 07.

2- إدوارد سعيد : الثقافة والامبريالية، تر: كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط3، ص 58.

3 - عبد الله ابراهيم: التمثيل السردي للتاريخ في الرواية العربية ، مجلة علامات العدد ، 56 يونيو 2005، ص 06.

ب- التمثيل السياسي :

حيث أخذ هذا المفهوم حصة الأسد في التحليل السياسي للسرديات حيث يتخذ هذا الأخير من السرد وسيلة للتخفي و فرض هيمنة معينة على القارئ في سبيل تمرير تمثيليات سياسية معينة و بخاصة تلك التي لها صلة بالواقع المعاش .

و التنفيذ السياسي هو عبارة عن :" الكيفية التي تقوم بها النصوص في إعادة المرجعيات وفق أنساق متصلة بشروط النوع الأدبي و مقتضيات الخصائص النصية، و ليس امتثالا لحقيقة المرجع فالمرجع هو مجموعة انساق سياسية محملة بالمعاني الاجتماعية و النفسية و الفكرية في عصر ما "[1].

فالتمثيل السياسي يحاول تمثيل أكبر قدر ممكن من سياسة معينة فقد صار التمثيل سياسيا بعد أن صار النص الأدبي ظاهرة سياسية : " ما دام النص الأدبي يحمل مجموعة من الأنساق السياسية ، كان لابد على التمثيل أن يصور إمكاناته وخصائصه حتى يمكنه أن يسع ذاك الانفتاح في دلالة النص الأدبي"[2].

ج- التمثيل الثقافي :

قد أضحي التمثيل الثقافي من جهته يستثمر في العديد من الأبحاث الثقافية خاصة تلك التي تتركز حول السرد بشكل عام و السرد الروائي بشكل خاص فالرواية العربية مثلا قد مثلت حسب إدوارد سعيد مصادر الهيمنة الإمبراطورية فرواية «قلب الظلام» حملت في ثناياها

1 - عبد الله ابراهيم : الرواية العربية وتعدد المرجعيات الثقافية ، مجلة علامات،ع 23 ،2002، ص 51.

2- منير مهادي: المتخيل السردي و التمثيل الثقافي عند عبد الله ابراهيم ، ص 350.

تمثيلات السود الأفارقة ورواية «الغريب»حملت تمثيلات ثقافية للهيمنة و القوة و الفلسفة الوجودية " فالانتاجات الأدبية يمكن أن تقرأ بوصفها تمثيلات ثقافية"[1]، وهذه الميزة في الأدب هي التي جعلت من التمثيل يأخذ هذا البعد الثقافي و من هنا نستنتج أن الرواية هي أكثرالأجناس الأدبية قدرة علي التمثيل حيث تعيد تشكيل الوقائع و الأحداث و تدرجها في سياق النص بطريقة فنية.

3- مفهوم الإيديولوجيا و علاقتها بالسياسة:

إن كلمة إيديولوجيا عبارة عن لفظة لها عدة مفاهيم و معان، و يختلف مفهومها باختلاف مجالات استعمالها فهي تعني الدعوة أو المبدأ كما تعني العقيدة أو المهب أو الطريقة، و نعني بالإيديولوجيا مجموع القيم و المبادئ و الأخلاق و النوايا و الأهداف التي يطمح إليهاالإنسان كما تعتبر بمثابة " الأفق الذهني الذي يحمله الفكر الإنساني في عصر من العصور"[2].

وهو نظرة الإنسان التي يندرج تحت قواعدها العامة كل تقرير وهو نظرة الإنسان التي يندرج تحت قواعدها العامة كل تقرير أو حكم صدر في عصر معين كما يعبر أو يمثل العقيدة التي تعبر عن الوفاء و التضحية و هي القاعدة التي يسير عليها الفرد أو تنتهجها الدولة .

فمفهوم الإيديولوجيا له ارتباط وثيق بالجانب السياسي فحين تقول إن حزب سياسي "له إيديولوجيا نعني بها الأهداف التي ينوي هذا الحزب تحقيقها، فالحزب الذي لا يملك إيديولوجيا معينة فهو حزب انتهازي ظرفي لا يهمه إلا استغلال النفوذ"[3] .

1 - إدريس الخضراوي: الرواية العربية و أسئلة ما بعد الإستعمار،رؤية للنشر والتوزيع، مصر، دط ، ص 62.

2- عبد الله العروي: مفهوم الإيديولوجيا ، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط5، ص 10.

3- المرجع نفسه ، ص 12.

فالإيديولوجيا ظاهرة سياسية متعددة الجوانب ولها حضور دائم في الحقل السياسي فكل صراع إيديولوجي هو سياسي غرضه فرض الهيمنة و السيطرة ،و كل استعمال لكلمة إيديولوجيا يكون حتما مرتبطا بالمجال السياسي كما أنه يؤدي وظيفة أو دور يقود إلى نظرية معينة ويخلق نوعا من التفكير فالإيديولوجيا تبرر المصالح الاقتصادية و القوة السياسية للطبقة السائدة و جهود الإنسان الفكرية حيث أصبحتالإيديولوجيا في وقت ما تمثل وعي الطبقة البرجوازية و بهذا "فالإيديولوجيا هي أساس كل نظام سياسي واجتماعي لأن المجتمع لا يقوم على العنف و إنما يقوم على إيديولوجيا"[1] .

كما تتجلي الإيديولوجيا في أشكال مختلفة كالفلسفة و الدين ، كما نجد أنالإيديولوجيا تتصل بالنضال السياسي خاصة الحزبي و ذلك يكسب أكبر عدد ممكن من الأنصار و إخفاء مصالحها بالنسبة لخصومها ، فالتطرف الإيديولوجي يعمل على" بناء طاغوت سلطوي و نشر إمبريالية عقائدية حزبية لأنه تليه أفكار على نحو تسخر فيه الجماعات الإنسانية لعبادة النصوص و خدمة العقائد ذلك أن البشر هم في التعامل العقائدي آلات لا ذوات "[2] .

وهنا يمكننا اعتبار الإيديولوجيا حاملة لدلالتين متناقضتين ؛ فالإيديولوجيا لدى المتكلم تختلف عن إيديولوجية الخصم بمعنى أنها إيجابية للمتكلم ، كما أن الإيديولوجيا السياسية تعتبر آلية من آليات الدفاع عن الذات كما يمكن أن ننظر إلىالإيديولوجيا كعلم موضوعي يحاول تخليص الفكر من الأوهام و الأحاسيس الذاتية " إن المفاهيم الاقتصادية نتيجة فرز تاريخي إذأخذناها

1 – عبد الله عبد الوهاب الأنصاري : الإيديولوجيا و اليوتوبيا في الأنساق المعرفية المعاصرة ، ص 39.

2 – علي حرب: أسئلة الحقيقة و رهانات الفكر، مفارقة نقدية و سجالية ، دار الطبعة ، بيروت، لبنان، ط1، 1994 ، ص 161.

كحقائق دائمة نقيس عليها الأنظمة الإنتاجيةالرأسماليةو نستخدم الإيديولوجيا هنا بالمعنى السياسي وإذا حللناها كنتائج تطور تاريخي قادتنا إلىإدراك واقع التاريخ إلى العلم"[1] .

فالمفاهيم الإيديولوجيا تعتبر إيديولوجيات سياسية إذاأخذناها كحقائق دائمة نقيس عليها الإيديولوجيات الأخرى بينما إذا اعتبرناها تحتل موقعا بين الإيديولوجيات في مرحلة من مراحل تطور المجتمع فهنا تعتبر كرؤية للعالم وهيالأقربإلى العلم في هذا التطور، ترتبط الإيديولوجيا بطبقة اجتماعية حينما تكون في الحكم؛ أي في ممارستها الفعلية للسلطة و تقابلها أفكار الطبقات المضطهدة في المجتمع و التي تكون داخل حيز الحكم تؤدي واجبات محددة فالإيديولوجيا في الميدان السياسي مرتبطة بمصالح " فئات تتصارع للوصول الى السلطة السياسية و المصلحة الاقتصادية الجلية... ترى ذاتها حقيقية مطلقة وترى منافساتها غلطا وزورا و تدنيسا"[2] .

ومن خلال هذا الصراع بين الفئات و الطبقات السياسية يتضح لنا أن الإيديولوجيا لها ارتباط تام بالنفعية و المصلحة السياسية و الاقتصادية و تحاول الحفاظ على مصالحها بكل الطرق و لها دور إيجابي فهي بمثابة حماية لهوية الفرد و الجماعة .

4-السياسة و الإيديولوجيا و علاقتها بالأدب :

إن الأدب في بنيته الفكرية هو في حركة تلائم مع حركة المجتمع و تغيراته عبر العصور فالبيئة الاجتماعية والأفكار السائدة بما تحمل من منظور إيديولوجي يؤثر في الفن، فنحن نعيش

1- حميد حميداني : النقد الروائي و الإيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، ط1، 1990، ص 24.

2- عبد الله العروي: مفهوم الإيديولوجيا ، د ت ، د ط ، ص 47.

في عصر يضفي الصبغة السياسية و الطابع الإيديولوجي إن لم يكن على الأدب تحليله، بذلك فإن الأعمال الأدبية " تتناول موضوعات سياسية إما مباشرة أو ضمنية ومن ثم تثير الأعمال الأدبية توقعا بحلول سياسية ولكن في شكل أدبي "[1] .

وبما أن الأدب يعتبر مؤسسة اجتماعية فإن الكاتب ينطلق من مجموعة مواد أولية يستمدها من مجتمعه ويقوم بعملية تركيب وتشكيل اللغة من أجل إبداع النص الأدبي فالأعمال الأدبية ليست إلهاما غامضا ولكنها " تصور الطريقة السائدة في رؤية العالم أي العقلية الاجتماعية وإيديولوجيات العصر"[2] .

فالعمل الأدبي فضاء يصور الأفكار السياسية والإيديولوجية في حقبة تاريخية معينة فتأتي هذه النصوص الأدبية متصلة كمجموعة من الخطابات الإيديولوجية ويكون النص هنا ليس سوى "مادة خام تستخدم لاستكشاف أنظمة معينة من الأنظمة السردية والإشكاليات الإيديولوجية وأنساق التمثيل "[3] .

«فالغذامي» يرى أن النصوص الأدبية لا تحتوي على القيم الجمالية فقط بل تحتوي على قيم غير جمالية أيضا و هي الإيديولوجيا وإنه من غير المنطقي أن نرى الأدب منعزل عن الظواهر الاجتماعية والسياسية والإيديولوجية ومنه فالأدب شكل من أشكال الإيديولوجيا وخطاب من خطاباتها فهو نتاجها، والعلاقة بينهما وثيقة ومعقدة في الوقت نفسه حيث يرى«غرامشي»إن

1- محمد سعيد فرح، مصطفى خلف عبد الجواد: علم اجتماع الأدب، دار المسيرة، عمان، الأردن ، ط1، 2009، ص 167.
2 - المرجع نفسه، ص168.
3- عبد الله الغذامي: النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافيةالعربية ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ، ط4، 2008، ص 17.

الإيديولوجيا هي تصور للعالم يتجسد في كل من الفن والأخلاق والقانون السياسي والاقتصادي وجميع مظاهر الحياة الاجتماعية و بم أن الإيديولوجيا هي" تصورات طبقة معينة للعالم تبدو في جميع مظاهر سلوك هذه الطبقة وتتجسد في الفلسفة و الأخلاق والمعتقدات والأدب الشعبي وطريقة الحياة والفنون والأدب وطموحاتها وعلاقاتها "[1] .

فقد أبرز «غرامشي» العلاقة بين الإيديولوجيا والأدب وكيف أنه يصعب فهم التطور الأدبي دون استخراج البنيات الاجتماعية التي يحملها وأنه يجب على دارس الفن والأدب " التفكير في خضوع النص إلى قوانين هي التي توحي إلى المصالح الاجتماعية الكامنة وراء التحولات الجمالية التي يبلورها الفنان وهو يواجه القيم السائدة والمتجذرة في الوعي الجمعي"[2] .

إن الفن في تطور مرتبط بالبنية الاجتماعية والفنان يواجه القيم السائدة في مجتمعه وهذه القيم تنعكس على أعماله الإبداعية ، وهناك من الأدباء من يكتبون بإخلاص للواقع على أساس انتماء لإيديولوجية وفكر معينين ويري «جورج لوكاتش» إن إشكالية الصراع و الأدب تسهم في خلق الوعي الطبقي وهذا ما جعله يتناول الرواية من هذا المفهوم لذا اعتبر " أن الصراع بين البروليتاريا والبرجوازية تمنح الكثير من التجربة و تحقق الأماني والآمال فتصبح بذلك حاملة على الوعي"[3] .

[1]– محمد سعيد فرح، مصطفى خلف عبد الجواد ، علم اجتماع الأدب ، دار المسيرة ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2009، ص 169.

[2] – المرجع نفسه: ص 172.

[3]– جورج لوكاتش : إيديولوجيا الأدب و الرواية ، دار المعارف، مصر، د ت ، د ط ، ص 199.

أما بالنسبة لأدبنا العربي فهو أيضا يرصد العلاقة بين الأدب و الإيديولوجيا و السياسة ولقد صرح السيد ياسين مؤلف كتاب التحليل السياسي للأدب عندما سأله أحد الصحافيين عن اهتمام إسرائيل بالأدب العربي قال: إن أي أديب يرصد العمليات الاجتماعية التي تصاحب التغيير السياسي وتلقي الأضواء عليها وعلى مساراتها المتعددة بصورة أكثر بروزا في كثير من البحوث العلمية ، ومن هنا اهتم الأدباء بتحليل هذه الأعمال حتى يضعوا أيديهم على مفاتيح التغيير الإجتماعي والسياسي وآثاره فالسياسة هي تلك الطريقة التي تنظم حياتنا الاجتماعية وعلاقتها بالسلطة كما يعتبر الأدب جزء لا يتجزأ من التاريخ السياسي والإيديولوجي وبهذا فإن الأدب مرتبط ارتباطا وثيقا بالقناعات السياسية والقيم الإيديولوجية على نحو لا يقبل الانفصال والحقيقة أن الأدب ليس موضوع بحث فكري فحسب وإنما هو منظور محدد نرى من خلاله تاريخنا السياسي والإيديولوجي ذلك أن أي نظرية معنية بالغة والمعنى و التجربة الإنسانية سوف تكون متورطة في قناعات عميقة عن طبيعة الأفراد والمجتمعات و الدولة والسلطة الحاكمة " ما ينبغي في الجانب الإيديولوجي هو تحمس عناصره في آراء الشخصيات الروائية وموقفها وسلوكها كما حركت بقلم الكتاب لتعبر عن اتجاهه مؤازرة واستحقاقا بالآخرين أفكارا وسلوكا "[1].

كما أن بعض النظريات الأدبية لا تظهر إيديولوجيتها في أي مكان آخر بالوضوح الذي تظهر به في محاولتها تجاهل التاريخ والسياسة ، فالنظرية الأدبية في حد ذاتها سياسية لأنها عبارة عن مذاهب أو تقنيات وأساليب سياسية إذ يمكن بتأمل بسيط أن نرى أن الأدب مرتبط ومتعلق

1 – حسين خمري: فضاء المتخيل، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2002، ص 41.

بالمصالح السياسية للجماعات البشرية و مختلف الإيديولوجيات " لقد استعمل الأدب للدفاع عن موقف أو قضية سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو ثقافية ، فالإيديولوجيا مكون أساسي في أي نص سردي فإنها بهذا الطرح النظري عنصر من عناصر المتخيل وهي التي تكون بعده المعرفي"[1] .

وبذلك فإن معظم النظريات الأدبية تقريبا تكون متأثرة بالنظام السياسي الحاكم كما أن لها صلة وثيقة جدا بهذا النظام السياسي .

1- بكري خليل: الإيديولوجيا و المعرفة، دار النشر، الشروق، الأردن، ط1، 2002، ص 127.

تمهيد

إن المتأمل في رواية" في عشق امرأة عاقر"[1] ، يقف دون شك على موضوع السياسة ولكن بصورة مضمرة نسبيا حيث لجأ المبدع إلى تضمين نصه ببعض الوقائع السياسية لكنها تتداخل مع مكونات الرواية (شخصيات أحداث مكان زمان لغة)لتقدم في النهاية نصا أدبيا يستنطق سياقين مختلفين ؛الأول واقعي يتكئ على بعض الأحداث المهمة التي تحدث أمام العيان، والثاني متخيل أراد النص من خلاله تقديم النقد لما هو ماثل أمامه ، كما أراد من خلاله تقديم رؤية الكاتب للعالم الذي يعيش فيه ، فمن خلال اتكاء النص على بعض الوقائع السياسية أراد تمرير وإثارة بعض القضايا المعينة ، مثل تبيان دور الأحداث السياسية التي مرت بها الجزائر في فترات تاريخية معينة وانعكاسها على نفسية الفرد ، وكذا تقديمها في قالب فني جمالي بفعل التخيل الذي يتوسم اللغة كوسيط لنقل ما يريد .

كما أراد النص تقديم رؤية معينة أو موقف محدد لجملة من الأحداث السياسية مثل تصرف السلطة مع ثروات البلاد في فترة الثمانينات ثم في الفترة المعاصرة بعد زوال خطر الإرهاب و هذه الأحداث حاولت الرواية تقديم محاكمة رمزية لها بلسان البطل الذي يمثل جزءا من النخبة الواعية التي ترفض مثل هذه الألاعيب التي تقوم بها السلطة لتكريس مصالحها و هيمنتها رغم ادعائها لكونها تحاول خدمة المجتمع و تحسين معيشة الفرد ، و ما العنوان"في عشق امرأة عاقر"إلا دليل على هذا الوطن العاقر بفعل تسخيره من طرف أقلية حاكمة لخدمة مصالحها وهو ما يسقطه البطل على نفسه فهو متزوج من امرأة عاقر حتى يستمتع بها ولا يخشى أي

1- سمير قسيمي: في عشق امرأة عاقر، منشورات الإختلاف ، الجزائر، ط1 ، 2011.

مسؤولية ، لأنها لا تنجب وتطرح الرواية كذلك تشظي مفهوم الهوية ؛ فالهوية تتحقق من انتماء فرد معين إلى ثقافة أوإيديولوجيا محددة تكتسب من خلالها الشخصية كيانها و مدلولها إلاأن هذا المفهوم نجده مغيب داخل الرواية،فالأشخاص المشكلون لعالم الرواية نجدهم مشتتي الانتماء لايحسون بأي علاقة تربطهم بالوطن بل أنهمأشخاص انهزاميون يعيشون جوا من العبث وعدم الاستقرار على الأصعدة النفسية و الاجتماعية و الأخلاقية فقد اختزلت حياتهم في مجموعة من الصور الباهتة، فكل فرد منهم يحاول الاستمرار في حياته دون أن يكون له حق التفكير و التطلع أو المشاركة في صياغة الأطر التي تحكم، وذلك بفعل استبداد السلطة عن طريق القهر الذي تمارسه،هذا القهر يتحول تدريجيا إلى شعور بالنقص فيحاول هؤلاء ممارسة نوع من الإبدال و ذلك عن طريق خلقهم لعوامل موازية ،يرتكبون أثرها بعض الأفعال المشينة في حق بعضهم البعض،وما هي إلا انعكاس لما تمارسه السلطة في حقهم من كبت للحرية .

وسنحاول في العناصر التالية الوقوف على أهم التمثيلات التي قدمتها الرواية لبعض الأحداث السياسية .

1-توظيف الأحداث السياسية وجمالياتها في الرواية :

إنأهمالأحداث السياسية في رواية " في عشق امرأة عاقر" تتجلى في بعض المراحل التي مرت بها الدولة الجزائرية والتي انعكست سلبيا على الفرد الجزائري ولعل أبرز هذه الأحداث التي ارتبطت بالفرد بالدرجة الأولى :

1.1 البطل وهموم الواقع :

نجد البطل في هذه الرواية ممثلا في شخص "حسان ربيعي" يحاول أن يتأقلم مع مجموعة من الظروف المفروضة عليه رغم عدم رضاه عن هذه الحياة وهذا ما يجسده حديث السارد عنه : "عرف أخيرا أنه لم يكن شاذا في هذا العالم المتبجح بالوطنية الزائفة،ثمة منهم أكثر منه نبذا لفكرة الوطن الإجباري ذلك الذي تولد فيه لتموت فحسب،كأن الوطن بالنسبة إليه أكبر من مجرد وثيقة تبلى في أي حين كان أكبر حتى من النسب والأكيد أكبر من وكل ذلك الكذب المنمق الذي اعتاد أن يسمعه في نشرة الأخبار تلك التي سيفوتها الليلة "[1] .

فهذا البطل موقن من أنه يعيش دون إرادته في هذا الوطن الذي أفرغ من معاني الوطنية و الانتماء حتى جعل من أفراده مجرد أشخاص بدون معنى إذا فقدوا كل ما يمت بصلة إلى الانتماء أو الإحساس بأي علاقة اتجاه الوطن، وهذا بسبب تشبث السلطة بالكرسي وعدم تركها لأي فرصة لمثله حتى يسهم في المشاركة في الحياة السياسية أو غيرها .

فالسلطة السياسية لم تقدم للوطن أي خدمة في سبيل تطويره أو جعله مكانا يشعر فيه أفراده بالراحة والطمأنينة و ما المقطع التالي إلاخير معبر عن الواقع الذي يعيش فيه،

" ابتل كل شيء في العاصمة حتى امتلأت الأرصفة وفاضت الطرقات ،وكشفت (المدينة – الحلم) عن وجهها الذميم،ذلك الذي لا يظهر عادة إلا إذا جن الليل واطمأن [المخرج المتذاكي] إلى أن جميع الكاميرات أطفئت وأن لا أحد سيرى تلك الفئران الآدمية

1- الرواية، ص 19.

وهي تعود إلى مراقدها عند مداخل العمارات وتحت المعابر الطرقية المختلفة وأقواس بور سعيد وبلكور،لكن الليلة ستكشف المدينة الحلم عن أكثر أوجهها قبحا على الإطلاق حيث تتشبع بالوعات الطرق ويعلو الماء ، ويعلو ليحتل مراقد فئران العاصمة ويحقنها بالمزيد من التشرد "[1]، فهذه السلطة لم تستطع أن توفر لأفرادها أدنى متطلبات العيش الكريم رغم تبجحها بإنجازاتها التي هي وهمية في حقيقة الأمر فرغم ما تصرفه من أموال لم تستطع بناء مدينة بالمواصفات المطلوبة .

2.1 – تفكيك نسق السلطة :

تقوم الرواية على تفكيك وتعرية بعض الأحداث السياسية التي تغاضت عنها السلطة وأرادت احتكارها في سبيل لقاء هيمنتها مثل أحداث العشرية السوداء التي يقدمها عكس الرواية الرسمية للسلطة ، فقد تعاملت مع أحداث أكتوبر 1988 من موقف استغباء الشعب ففي نظرها فإن الشعب خرج إلى الشارع لأجل المطالبة ببعض الحريات في حين أن خروج الشعب كان نتيجة حتمية لتوالي مجموعة من الظروف و تراكم مجموعة من مخلفات الماضي ، فهذه الأحداث من وجهة نظر الرواية أشعلت شرارتها سيطرة قوى معينة على أموال الدولة " الجميع يذكر، ومن لايذكر أخبروه حين قرر (المخرج المتذاكي) أن يتحدث عن خدعة أول مرة كان ذالك صيف عام 1988 ، ربما اعتقد حينها أن« الشعب المسلوب من كل شيء » قد بلغ الرشد ويمكنه أن يرى الحقيقة من عين الكاميرا دون أية خدعة أو حيلة إخراج، كان وحده المخرج المتذاكي المحب للحقيقة

[1]– الرواية ،ص 22.

، ومن اعتقد ذلك من طاقمه المحب للبلاد لكنه أصر وجهر برأيه في أن الشعب المسلوب في أمره لم يعد قاصرا وأنه كبر على العملاق المسمى الوطن الإجباري"[1] ، فهذا المقطع يكشف عن الأسباب الحقيقية التي أدت بالشعب إلى الخروج والثورة عن النظام وهو عكس ما قدمته السلطة في ذلك الحين ، لكن في نهاية الأمر لم يتجرع مرارة الألم و الموت سوى هذا الشعب المستضعف و المغلوب على أمره في حين تمكن السلطة من فرض قبضتها و هيمنتها على كل الأمور ليبقى الفرد يدفع الثمن غاليا؛ولأن الصحافة لها دور مهم في تكريس هيمنة السلطة عن طريق استغلال الإعلام لخدمة مصالح معينة فإن الرواية تسخر من المنتسبين إليها وتنعتهم بأبشع الصفات وما شخصية " أمين قرللو " إلا مثال على التدني الذي وصلت إليه الصحافة في هذا البلد .

" كان هذا "أمين قرللو"أحد أكثر المخنثين شهرة في كل باش جراح ،ولد وترعرع فيها، وظف في التلفزيون منشطا لإحدى حصص المنوعات وكان قبلها قد اشتغل مهرج أطفال وممثلا على المسرح ، ولعله بينهما كتب شيء ونشره على الجرائد أو قرأه في مكان ما على اعتبار أنه أديبأ و شاعر، لم تكن رحلته المهنية غريبة كما تبدو ولعلها أقل غرابة من تلك الرحلات التي تبدأ "قابض التذاكر" إلى رئيس حزب أو تلك التي تنتهي بالراسب في الابتدائي وزيرا في الحكومة ، مهما كان وصف تلك الرحلة المهنية فلن يكون أسخف مما يرجوه "أمين قرللو" لنفسه في النهاية ، فحين دخل مقر التلفزيون أول مرة استغرب من عدد الذين يشبهونه في كل شيء حركات يديه

[1]– الرواية ،ص 37–38

وقفته،مشيته ،ضحكاته ، غمزا ته.....كل شيء، وأخيرا وجد جنته التي أملها، في الحقيقة وجد فردوسه الموعود"[1] .

لقد قلبت الرواية مهنة الصحافة إلى مهنة منبوذة لا يمتهنها إلا الشواذ وهذا نتيجة التعتيم الذي تمارسه الصحافة في هذا الوطن فعوض أن تقف إلى جانب الحق نجدها مجرد بوق دعاية يقف إلى جانب السلطة .

3.1 السلطة و تكريس الهيمنة :

وتسعى السلطة دائما إلى استغلال بعض الأحداث لصالحها حتى تتمكن من تكريس نفوذها وبالأخص استغلالها لبعض الأزمات التي تظهر بين الحين و الحين، فمثلا استغلت السلطة السياسية الأحداث التي جرت في مطلع عام 2011 لصالحها وجنبت نفسها مأزق الربيع العربي الذي كان في دول الجوار.

إذ عملت على غرس ثقافة تخويف المواطن البسيط من العودة إلى دائرة العنف الذي مر بالبلاد في سنوات الأزمة مما جعل تفكير الفرد منصبا حول تلبية مجموعة من الشروط الاقتصادية حتى يضمن بقائه ،بل أن الرواية تذهب إلى أن الحكومة هي من يقف وراء تلك الفوضى لتجنيب النظام خطر الزوال " كم أنت طيب يا صديقي ، الحكومة تعلم بكل شيء منذ وجدت ولن يهمها أن تحرق بلدية أو محكمة أو حتى البلاد كلها مادامت ستبني كل شيء من جديد

[1]- الرواية، ص ص 41- 42.

من عرق الشعب، لا شيء سيتغير كل ما في الأمر أن أحدهم سيطلع علينا في نشرة الأخبار ليهدينا وعودا وسنصدقه لأننا راغبين في تصديقه ، و بعد مدة سننسى مطالبنا ووعوده "[1] .

وهذا بالفعل م احدث لاحقا وكانت الرواية هنا قد تنبأت بما سيحدث في السنوات اللاحقة ويصطلح على هذه التقنية الروائية الاستشراف الزمني ، أي التنبؤ بما سيحدث لاحقا .

فمن عادة الأنظمة الشمولية التحكم في كل الأمور وقراءة التنبؤ بما قد يحدث، فتلجأإلى شغل الرأي العام ببعض القضايا التي تتعلق بالأمن القومي، السيادة الوطنية ، وغيرها .

" أتعرف ما سيحدث لاحقا سأخبرك بالتفصيل الممل: سيهدءون من روع الشعب ويعدونه بكل ما يريد، ثم حين يهدأ سيهدأ حتما ويبدؤون في إعلان عن محاكمة بعض الشباب الذي اندس مع المحتجين مستغلا الوضع لينهب ويسرق وفي النهاية سيقولون أن ما حدث لا علاقة له مع الشعب وغبنه ، إنما هناك أيادي خفية حركت بعض الشباب المتهور لتحدث تغيرا في موازين السلطة، نصدقهم كما فعلنا في الخامس أكتوبر حين صدقنا أن مناصري سياسة الرئيس المتفتحة من حركوا الشارع"[2].

إن هذه السياسة الخبيثة التي تنتهجها السلطة هي من مكنتها من البقاء و الاستمرار في استغلال الشعب و استغنائه والتحكم في كل مناطق النفوذ.

إن هذه الأحداث السياسية وغيرها المبثوثة في ثنايا النص الروائي قد ساهمت في إضفاء بعد جمالي إلى جانب مكونات الرواية لتتيح الفرصة للقارئ حتى يقوم بتأويل ما يقرأ محاولا الوصول

1- الرواية ، ص 108.

2- الرواية ، ص 109 .

إلى تفسيرات مختلفة لما يعيشه في هذا العالم المتغير باعتبار أن الأدب لا ينقل واقعا مطابقا بل ينقل ما ينبغي أن يكون .

2- الغرض من توظيف الأحداث السياسية في الرواية :

إن الأحداث السياسية التي تحفل بها رواية في عشق امرأة عاقر تشير في الذهن جملة من الأسئلة، لعل أبرزها ما هو الغرض من توظيف بعض الأحداث السياسية داخل هذا النص الروائي؟

وبالعودة إلى طبيعة الأحداث الموظفة، يمكن الوقوف على بعض الأبعاد الناتجة من توظيف الأحداث السياسية .

1-نقد السلطة :

إن السلطة السياسية أو النظام القائم كان محل اتهام صريح من طرف الرواية ، وذلك نتيجة سوء تعامل السلطة مع بعض الظروف ، وكذا استغلالها للشعب من أجل خدمة مصالحها، فهي المسؤولة المباشرة عن تدهور الظروف المعيشية للفرد بسبب عجزها عن توفير أسباب العيش الكريم "في مثل تلك الساعة من مساء كل يوم ينتهي عمل امرأة عادة ما تقف عند نهاية الرصيف المحاذي لمحطة القطار (أغا) تماما حيث يلتقي جميع الراجلين قاصدين المحطة مهما كانت وجهاتهم ، تنصرف إلى حيث لا يدري أحد وبانصرافها تصبح حركة الراجلين أكثر سلاسة وأكثر سرعة بحيث لا يجدون أنفسهم مضطرين إلى تخفيف سرعاتهم ثم توقف للإجابة عن سؤالها اليومي (هل معك عشر دنانير؟)، لا أحد يعلم بالضبط حتى لا يبدأ عمله هناك

فتؤمن نصف متر مربع التي تحتله ،غير آبهة برجال الشرطة ،على بعد خطوات واقفين أمام المبنى القديم لوزارة المالية حراسا عليه ،حتى بات من المألوف بفضلها أن يجتمع النقيضان في مكان واحد لاتفصلهما إلا أمتار :غنى الدولة الفاحش ،وفقر الشعب المدقع "[1] .

فالسلطة هي المسؤولة عن دفع هذه المرأة إلى التسول رغم كبر سنها يحكم عدم التفاتها إلى مطالب هذه الفئة المحرومة ، كما أن السلطة كثيرا ما أساءت تقدير بعض الأزمات أثناء تعاملها معها .

" الجميع يذكر ،ومن لا يذكر اخبروه،حين قرر (المخرج المتذاكي)أن يتحدث عن خدعة أول مرة، كان ذلك صيف عام 1988 ،ربما اعتقد حينها أن (الشعب المسلوب من كل شيء) قد بلغ الرشد و يمكنه أن يرى الحقيقة من عين الكاميرا، دون أي خدعة أو حيلة إخراج كان وحده المخرج المحبة للحقيقة ،من اعتقد ذالك من طاقمه المحب للبلاد، ولكنه أصر وجهر برأيه في أن الشعب المسلوب في أمره لم يعد قاصرا وأنه كبر على مهده العملاق المسمى (الوطن الإجباري) جهرا وافقه الجميع ،وفي السر شاغلوا –عن معرفة أو عادة– هل حقا كبر(الشعب المسلوب من كل شيء)؟"[2] .

فلو تعاملت السلطة بجدية مع مطالب الشعب و رضخت للأمر الواقع ، لتمكنت من تجنيب البلاد المأزق الذي وقعت فيه ،لكن الحلول الارتجالية التي حاولت تطبيقها لم تجدها في النهاية ، فخلف ذلك مأساة كبيرة كادت تعصف بكيان الدولة بل أن السلطة هي المسؤولة

1– الرواية ، ص 9.

2– الرواية ،ص 37–38 .

الوحيدة عن انتشار الآفات الاجتماعية نتيجة تخليها عن تطبيق القانون وتساهلها مع مروجي المواد المحظورة مما أدى إلى فساد المجتمع،" كان هذا واحدا من أطفال الإنتشاء ،هؤلاء الذين لا تراهم إلا حين يحين الليل يجوبون شوارع العاصمة دون أن يهدؤوا ،حتى إذا طلعت الشمس اختفوا و كأنهم لم يكونوا قط .ولكنهم منذ سنة أو سنتين أصبحوا يتجرؤون على المزوج في وضح النهار ،حاملين أوعيتهم المليئة بالغراء ،يسمونه (اللصقة) يستنشقونها على مراى الجميع،رائحتها تجعلهم يغيبون على الوعي وربما تجعلهم سارح ونفي وطن آخر غير (الوطن الإجباري) هذا الذي لم يضمن لهم غير الولادة و الموت ، و حين يصبون بعض الرزق يشترون بعض الكيف أو يصنعون (الزمبريطو) يمزج القليل من الكحول الطبي و الكثير من المياه الغازية السوداء ،فيحتسونه رافعين نخب الوطن الإجباري"[1] .

فلولا تساهل السلطة لما أصبح تعاطي المحظورات مباحا ، وفي حقيقة الأمر أن تغاظي السلطات عن هذا الأمر مرده إلى توجيه الرأي العام نحو أمور جانبية حتى لا يلتفت إلى شؤون الحكم أو يطالب بحقوقه.

بل إنه في الكثير من الأوقات تعمل الدولة عل استغلال بعض اللحظات الهامشية من أجل صرف الشعب عن الواقع وجعله بعيدا عن ما يجري أمامه وما استغلال الرياضة بتوجيه الرأي العام نحو أمور جانبية إلا خير مثال على ذلك وهذا ما حدث في مونديال 1982 ، كانت " العظمة – المخرج– هبة سقطت من السماء،أيكون الله من ألقاها ؟ حتى (المخرج المتذاكي) لن يصدق هذا ، كل ما في الأمر أن عشية وجدوا أنفسهم يلعبون الكرة مع ألمانيا ،فأخذتهم

[1]– الرواية ،ص 59.

الحماسة و فازوا، صرخ المعلق بذهول (لقد فعلوها... حققوا انتصارا عظيما...أووو ووووه صنعوا ملحمة) ، حينها التقطت أذنا المخرج هذه الكلمات ،وقبل حتى أن يتم المعلق صرخته و قرر بشكل رسمي أن فريق (الوطن الإجباري) صنع المعجزة ،حقق نصرا عظيما ،كتب في صفحات التاريخ ملحمة أعظم من ملاحم اليونان ، وكما تصور بعقله الجبار ،أكسبه الإنتصار العظيم أربعة أعوام أخرى في فراش امرأته العاقر"[1] .

فهذا الحدث قد غطى على هفوات السلطة ولو لوقت قليل ،فنجد هنا مفارقة بين حدثين فما حدث في هذا الموقف 1982 حدث كذالك في 2010 حيث عملت السلطة على تسييس مباراة كرة القدم ، وفي نفس الوقت تمكنت من تمرير بعض القوانين الجائرة فيما كان الشعب مشغولا ومنتشيا بإنجاز فريقه الوطني .

كما تربط الرواية بين أسباب خروج الشباب في 5 أكتوبر 1988 و خروجه في مطلع عام 2011 " فكر في ذلك وفي رأسه ذكرى قديمة لشباب خرجوا منذ اثنين و عشرين عاما إلى الشارع لنفس الأسباب، فحين خرجوا،راج أنها مسألة ساعات و يهدؤون ،لكنهم لم يهدؤوا حتى وجد لهم المخرج المتذاكي حقنة تخضير أخرى ،لا يعلم إلا الله كيف اهتدى إليه، وحين حقنهم بها شعر الشعب المسلوب من كل شيء ،أن خروجهم من أجل العمل و الخبز و الزيت و السكر،و من أجل أن يشطب (الطابور) من قاموسه ،لم يعد مهما ، ثم تخيل إن تلك العاهرة

[1]– الرواية ،ص 78.

التي عرفه بها المخرج المتذاكي ،تلك المسماة (حورية) قادرة على إسكاته وإشباعه و مداواته ".[1]

ففي المرة الأولى لم تستطع السلطة التعامل بحكمة لكن في هذه المرة وجدت لهم جرعة مناسبة بفعل بحبوحة مالية فأوجدت لهم مشاريع اقتصادية و خفضت في الأسعار، و رفعت قانون الطوارئ حتى سكت الشباب و نجحت بالفعل في مسعاها غير أن الواقع يقول شيئا أخر.

2- نقد المرجعيات :

نقصد بها التوجهات التي تعمل السياسة على فرضها كنموذج أو توجه اتجاه قضية معينة مثل نقده للثورة التي عملت السلطة على فرضها كمثال يحتذى به و ذلك عندما قامت الرواية بفضح بعض الحقائق التاريخية المرتبطة بالمسكوت عنه في الثورة " لقد قرروا أن يكونوا مجرد شهود فحسب ربما بعدها حين يتجلى الأمر و تفك الطلاسم ينخرطون في قضية و لما لا يتبنونها، و يدعون أنهم أصحاب الأمر أولا و أخيرا سيمكثون كما فعل آباءهم قبل عقود، على الحدود الشرقية أو الغربية لا يهم ينتظرون من يغلب ومن يغلب ثم يزحفون بلا رحمة و يمسكون الغالب من خناقه"[2]

ففي هذا المقطع استنطاق للمسكوت عنه في التاريخ الجزائري وهو استيلاء جيش الحدود على السلطة بعد الاستقلال وانتزاعها بالقوة من الحكومة الشرعية ،ثم بعدها راحوا يوهمون الشعب بمبادئ الثورة ويحاولون ترسيخها في أذهانهم وجعلها بمثابة الإطار العام الذي يتحركون فيه

1- الرواية ،ص 125 .

2- الرواية ،ص 37.

كما تفضح الرواية الفكرة التي تتبناها الدولة كمرجعية راسخة وهى تخويف الشعب بالقوة أو محاولة ترسيخ نظرية المؤامرة الخارجية " أكبر انتصار تحققه السلطة هو إيهام الناس بقوة لا تملكها وحين يترسخ هدا الوهم في نفوسهم فمن الصعب قلعه إلا بعد أجيال، أضاف شارحا –وهم القوة وما يسمح للفرنسيين في البقاء بالجزائر أكثر من قرن و ربع القرن ،وهم القوة هو ما جعل الإرهاب يكسب جولات و وقتا ما كان ليكسبهما لو لا وقوع الناس في الوهم ،و هو ذات الوهم الذي يعمل أي ديكتاتور على تكريسه منذ السنوات الأولى في حكمه فحتى لو فقد القوة التي مكنتهم من الاستيلاء على الحكم يصعد سنوات بفضل الوهم"[1]

فالسلطة السياسة تستعمل فزاعة تخويف الشعب فهي من تساهلت مع الإرهاب بل دعمته في أحيان كثيرة ومارست إرهابا ضد الشعب الذي كان هو الضحية في النهاية ولم يجني سوى البؤس والشقاء .

كما تفضح الرواية المرجعية الدينية التي إستغلها بعض الأشخاص حتى يقوضوا نظام الحكم رغم عدم إنتمائهم بالدين ، ففي فترة معينة من تاريخ الجزائر ركب بعض الأشخاص التيار الديني لأحداث تغيير "فحين كنت في الثامنة عشر من عمري وثار الشارع كما يثور اليوم خرجت مع الذين خرجوا و أخذت أردد كالببغاء تلك الشعارات التي تتحدث عن الحرية والديمقراطية و تحث على نبذ الإشتراكية و نبذ الواحد أقول كالببغاء ،لأنني لم أكن أفهم شيئا في تلك الشعارات المسجوعة بعناية كأغنية كتبت قبل أدائها بأشهر ،و حتى أكون صادقا ،فأنا اليوم ،رغم ما قرأته من كتب ومأأراه على النية والتلفزيون ورغم مئات الخطب التي إستمعت

1– الرواية ،ص 145 .

إليها ،مازالت أجد صعوبة في فهمها فما بالي و أنا في الثامنة عشر من عمري المهم إنني خرجت كالجميع ،أردد ما يردد في الشارع ،ولم أشعر إلا وأنا أقتاد إلى حيث لا أعلم حتى اليوم و هناك حيث اعتدت كان علي أن أتعلم الدرس الذي تعلمته اليوم ،على الأقل هذا ما كان يتوجب على بعد أيام من الصفع و الركل و الضرب على القفا "[1]

فأغلب من خرج لمناهضة الدولة و الوقوف الجانب التيار الجديد لم يكن له أي صلة بالمرجعية الإسلامية فأغلبهم متطفلون كانوا يبحثون عن نوع من الحرية للتنفيس عن مكبوتاتهم الداخلية، وبهذا يبرر فشل المشروع الإسلامي الذي أستغل من طرف أشخاص كان هدفهم الرئيسي تحقيق مأرب خاصة و فقط .

3-إشكالية الهوية وعلاقتها بالسياسة:

كثيرا ما توظف النصوص الروائية بعض الخصوصيات المتعلقة بالهوية ، باعتبار الهوية داخل النص الروائي "صورا و معروفة لأصول حضارية و ثقافية و تاريخية ، التي ينشأ بموجبها المجتمع و تكون سببا في تطوره أو تدهوره "[2] ، وهذا راجع إلى قوة السرد في تمثيله للهوية ، و قد يقف الدارس في رواية "في عشق امرأة عاقر" على قضية الهوية منظورا إليها في إطارها السياسي إذ لا تتشكل إلا وفقها فنعثر مثلا على هوية البطل التي هي عبارة عن شخص لا أمل له في الحياة يعيش راهنه و حسب، و لا يسعى لبذل أي مجهود في سبيل التغير و أن كان يضمر ثورة كبرى تتأجج في نفسه اتجاه الواقع الذي يعيشه "و لأنه لم يخير و غالبا لن

1- الرواية ،ص 180-181.

2- حكيم أومقران : البحث عن الذات في الرواية الجزائرية- الطاهر وطار نموذجا – دار الغرب للتوزيع و النشر، الجزائر، ط1، 2005، ص 103.

يخير أبدا لم يشغل باله بأكثر من ذلك ،كان كل همه وقت إذ كيف يعيد برمجة رحلة عودته إلى منزله بسي مصطفى "[1]، فهذا البطل تصوره الرواية بلا عنوان أو غاية أو هدف لأنه يعيش إغترابا حقيقيا.

كما تحمل هويته بعدا إجتماعيا فيحاول إيجاد بديل للواقع الذي يحياه في ظل ظروف سياسة قاهرة ناجمة عن تحكم السلطة في أدق تفاصيل حياة مواطنيها، بل تتمادى الرواية في تقديمه بملامح وصفات قاهرة تجعله يمقت نفسه، و يرى فيها العبث "لأنه كلما وقف أمام المرأة و تأمل وجهه الطويل ،المحفر بسبب ندوب ما بعد حب الشباب و أمعن النظر في تلك الثلة السوداء فوق حاجبها الأيمن الكثيف شكك بسبب قبول زوجته بها كان مقتنعا أن الحب لايمكن أن يحجب عنها تلك الصورة التي يراها كلما وقف أمام المرأة حتى أمه التي أنجبته ما كانت لتخفي قرفها منه لو تجرأ و سألها فقد كان بطوله الفارع مترات وعشرة وتيبس جسده النحيل وغور عينيه الواسعتين بلا معنى أو بوجهه الأعظمي الطويل المنتهي بذقن هلالي يشبه كلب سلوقي سيئ الأكل"[2] .

إن هذه الصفات القبيحة التي تصور البطل تحيل بلا شك إلى انفراد ماهية الهوية التي تشكل الطابع العام حول هذا الشخص، وهذا كله ناتج بسبب تضافر مجموعة من الظروف الاجتماعية و السياسية التي غيبت الفرد داخل المتاهة الكبرى .

1- الرواية، ص 15.

2- الرواية ، ص 18.

فالعيش داخل الوطن يراه إجباريا" تلك التي جعلته يتصور كل ما تقدم فيها أن مقته للوطن يتزايد أكثر فأكثر عرف أخيرا أنه لم يكن شاذا في هذا العالم المتبجح بالوطنية الزائفة ثم من هم أكثر منه نبذا لفكرة الوطن الإجباري، ذالك الذي تولد فيه لتموت فحسب ، كأن الوطن بالنسبة إليه أكبر من مجرد وثيقة تبلى في أي حين كان أكبر حتى النسب والأكيد أكبر من كل ذالك الكذب المنمق الذي اعتاد أن يسمعه في نشرة الأخبار تلك التي سيفوتها الليلة "[1] .

هذا الكره الشديد هو ما يسهم في ضياع هويته لأنه يحيا في عالم فرض عليه ، ولم تكن له حرية الاختيار بل إنه يعيش انفصالا بينه و بين نفسه فكثيرا ما يتخيل صوتا آخرا في حياته وهو صوت اللاوعي أو اللاشعور أي أنه يعيش انفصاما عن ذاته " فجأة صرخ الصوت الغائر فيه:أرأيت ، لهذا تحب بولاتوفيتش إنه مثلك لا يؤمن ،لا يصدق ولا يحلم غير أنه على عكسك أيضا لم يكن يخشى أن يخبر الناس بكرهه للوطن العاهر، وطن الخنازير كان يصرخ غير آبه بمن يستمع إليه لم يعد يهمني إسمك ياوطني ، فهيا نصفي حساباتنا ، خذ كل ما أعطيتني، خذ إسمي أولا و حررني من قدرك وظلامك أما أنت فلا تجرؤ ولن تجرؤ أبدا حتى على سماع صوتك ، لن تصرخ مثله أبدا بكره الوطن الإجباري هذا الذي ولدت فيه لتموت و حسب "[2] .

فمن خلال هذه المقطوعة يمكن الوقوف على أسباب تشظي هوية الوطن و انفصامه عن ذاته حيث يعيش واقعا سياسيا متناقضا بفعل ازدواجية الخطاب الذي تقدمه السلطة و لأن الهوية تتشكل وفق ما تمنحه الجماعة الاجتماعية من موروثات لأصحابها فإن غياب القيم و المبادئ

[1]- الرواية ،ص 19.

[2]- الرواية ، ص 30-31 .

عن واقع الجماعة ، تجعل الفرد يعيش في حالة انكسار و ضياع ، فتقدم الرواية وصفا غير لائق لعينة من الأفراد الذين يشكلون هذا الوطن الإجباري " كان هذا أمين قرللو أحد أكثر المخنثين شهرة في كل باش جراح ، ولد وترعرع فيها حتى وظف في التلفزيون منشطا لإحدى حصص المنوعات وكان قبلها قد اشتغل مهرج أطفال وممثلا عن المسرح و لعله بينهما كتب شيئا و نشره على الجرائد وقرأه في مكان ما على اعتبار أنه أديب وشاعر فلم تكن رحلته المهنية غريبة كما تبدو ولعلها أقل غرابة من تلك الرحلات التي تبدأ من قابض التذاكر إلى رئيس حزب أو تلك التي تنتهي بالراسب في الإبتدائي وزيرا في الحكومة "[1]، هذا الوصف الذي يقدمه لأحد الأفراد الذين يشكلون هوية المؤسسة الرسمية يحيل إلى نقد لاذع لمن كان من المفروض أن يمثل السلطة على أكمل وجه و بالتالي يحيل إلى ضياع الهوية مثل ما تضيع القيم و المبادئ و حتى الأمور المعقولة.

كما تثير الهوية في هذا الشأن مسألة أخرى تركز من خلالها على بعض العلاقات الغريبة التي تشجعها السلطة الحاكمة و تتباهى بها و هي تقديم وعود غير قابلة للتحقق" حين قاطع المكالمة فكر في أن يكلم الركاب عبر مكبر الصوت عن قدوم فرقة النجدة لكنه سرعان ما عرف عن الأمر فلا فائدة ترجى من إعلامهم بالوضع فتأمل في منطق تفكيره فابتسم فقد كان دون إرادة يفكر كما يفكر المخرج المتذاكي إيزاء شعبه "[2] .

[1]- الرواية ،ص 41.

[2]- الرواية ،ص 110.

فهذا الشعب فاقد لكل مكونات وجوده مما يسهم في تضييعه لهويته أو وطنيته بسبب سوء تقدير الذي تكنه السلطة له دون أن يرفض أو يحاول العثور على بعض الأجوبة التي تشغل باله فليس من حقه معرفة أي شيء يتعلق نمط حياته أو الأسباب التي تقود إلى مشاركته في الحياة لسياسية أو غيرها فهو شعب فاقد لأسباب وجوده " ليس عليه أن يعرف من أين يأكل و بكم يدين وكم يملك فلا فائدة ترجى من علمه، ليس أن يعرف من يحكم حقيقة ما دام يرى مخرجه المتذاكي في بدلته المستوردة و ماكياجه الفاضح حاكما عليها فلا فائدة ترجى من علمه، ولعله لو تأمل أكثر لأدرك أن كل الشعب المسلوب من كل شيء يفكر مثله مثل المخرج المتذاكي حتى إنه لو لم يعترف كان مرتاحا بجهله مقتنعا في قرارات نفسه بأن لا فائدة ترجى من علمه"[1]. فكما تكون السلطة السياسية قاسية و متحكمة في زمام الأمور لمنع الفرد من معرفة ما يدور حوله تنعكس كذلك هذه الخيبات على هوية الفرد فيحاول أن ينأى بنفسه عن جميع الأمور الأخرى فهو مشارك في هذه الدسائس و السياسات السيئة عن طريق تواطئه العفوي معها .

وهذا مرده ربما إلى الخوف الذي يقبع في نفسية الفرد و يطغى على هويته فيصبح ضائعا يخاف حتى من أبسط الأمور " لو أن الأمر كما تقول لدخل الشعب كله إلى السجن أتعرف كم من تذمر وشك وسب وشتم ونكت عن الحكومة أسمعها كل مرة أستقل القطار؟ ، تابع وقد وضع يده في جيب جاكيته الكشمير: يا رجل إننا شعب لا نملك إلا الكلام لننفس عن أنفسنا

[1]– الرواية ،ص 111.

هذا ما تبقى لنا بعد كل ما جرى في هذه البلاد، ولا أعتقد أن الحكومة غبية لتفرض علينا الصمت وهي تعرف أن الكلام بقدر ماهو متنفسنا بقدر ماهو خلاص لها "[1].

فهذا الخوف من أبسط الأمور فهو ما يضيع هوية الشعب المسلوب فيصبح شعبا تائها لا يملك من امره أي شيء إنما تتشكل كل الجوانب المتعلقة بحياته عن طريق ما تمليه عليه السلطة و فقط .

إن هذه المقتطفات الموجودة في النص الروائي تحاول أن تجيب على بعض الأسئلة المتعلقة بإشكالية الهوية حيث تندرج في مجملها ضمن عطب الوجود فالبطل لم يختر أن يأتي إلى الحياة نتيجة حب طائش فوجد نفسه مفروضا في واقع لا يتقبله ومن ناحية أخرى مهما حاول أن يشكل هويته الخاصة فإنه يقع بين نقيضين: قبول الواقع كما هو و العيش تحت وطأة أنساق ثقافية تغذيها هيمنة السلطة السياسية، وغطرستها عن طريق ما تمليه عليه من تصرفات و طرق ممنهجة في تفكير وغيرها فلا يملك إلا الاستسلام و قبولها ولو عرضها في داخله ، أو بين حال أخرى وهي رفض الماضي له باعتباره ابن زنى وما تحمله هذه الجزئية من مخلفات كبيرة في نفسه فيعيش انشطارا عنيفا في هويته و التي يردها أساسا إلى سوء التدبير السياسي في البلاد الذي يلقي بكاهله على أي محاولة فردية نحو التغيير أو طموح لغذ أفضل .

[1] – الرواية ،ص 144 .

خاتمة :

في نهاية هذا البحث نوجز أهم النتائج و الاستنتاجات التي توصلنا إليها كما يلي:

- عرف الأدب الجزائري المعاصر تحولات في فترة التسعينات و ذلك بتأثير من تلك الأحداث السياسية و الاجتماعية التي عاشتها الجزائر آنذاك، فجاء الأدب مطبوعا بطابع خاص تميزه المأساة السياسية.
- إن اندلاع الأزمة في الجزائر كان نتيجة لعدة أسباب، منها ما كان كامنا منذ عقود في ترسبات الماضي، و منها ما ارتبط باللحظة التاريخية إثر قرار الانفتاح السياسي. كما كانت هذه المأساة نتيجة حتمية لتصاعد درجات التعصب و التطرف في الجزائر خلال مرحلة الأزمة.
- استطاعت رواية<<في عشق امرأة عاقر>> أن تبرز تلك الفجوة الكبيرة بين السلطة الحاكمة و الشعب و هو ما ساهم في شحن الواقع الجزائري و اندلاع الأزمة.
- صور النص الروائي الواقع الجزائري، الذي شهد حدّة الأزمة و تفاعل معها، مدققاً في الأحاسيس و المشاعر الداخلية للفرد الجزائري الذي يعول عليه في التغيير.
- مارس الروائي على نصه جملة من التقنيات السردية، الزمنية خاصة، التي اتسمت بالشعرية و قليل من اللهجة العامية، ناهيك عن المواضيع المحرمة المطروقة في الرواية.

- ❖ جاءت رواية المحنة كتجربة مُثلت الواقع السياسي و الاجتماعي، نتيجة تصاعد الحضور القمعي للسلطة و الجماعة الدينية المتطرفة. و نتيجة القمع و الخيبات التي مُنِيَ بها الفرد الجزائري.

وبقي أن نؤكد في الأخير أن هذه الخاتمة لا تضع نهاية لهذا البحث المتواضع، بقدر ما تفتح أفق جديدة للبحث في هذا الموضوع، و الكشف عن الجزء المغيب الذي نتناوله في محطات قادمة إن شاء الله.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

- سمير قسيمي: في عشق امرأة عاقر، منشورات الإختلاف ، الجزائر، ط1 ، 2011.

ثانيا: المراجع باللغة العربية:

1. إدريس الخضراوي :الرواية العربية و أسئلة ما بعد الاستعمار، رؤيا النشر والتوزيع ، القاهرة ،مصر، ط 1، 2012
2. الشريف حبيلة: الرواية العنف، دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، عالم الكتب الجديد، الأردن، ط1، 2010.
3. باختين مخائيل: الملحمة والرواية، ترجمة جمال شحيد، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، 1982
4. بكري خليل: الايديولوجيا والمعرفة، دار النشر، الشروق، الأردن، ط1، 2002
5. جابر عصفور: المرايا المتجاورة في نقد طه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، (د.ط) 1983
6. جورج لوكاتش: إيديولوجيا الأدب والرواية (د–ت)، (د–ط)
7. حكيم أمقران: البحث عن الذات في الرواية الجزائرية، الطاهر وطار أنموذجا، دار الغرب للتوزيع والنشر، الجزائر، ط1، 2005
8. حميد لحميداني: النقد الروائي و الإيديولوجيا، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2002
9. حميدة سميسم: الحرب النفسية، الدار الثقافية للنشر، بغداد، العراق، (د.ت)، (د.ط)

10. حنا الفخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1986
11. سعاد حميدون: صورة المثقف في رواية بشير مفتي، مذكرة ماجستير جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2010
12. سليم بركان: النسق الإيديولوجي وبنية الخطاب الروائي، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2003-2004
13. طوني بينيت: معجم مصطلح الثقافة والمجتمع، ترجمة سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2010.
14. عبد العري: مفهوم الإيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، دار الحمراء للنشر والتوزيع، شارع جان دارك ، ط5، د.ت
15. عبد الله ابراهيم: الرواية العربية وتعدد المرجعيات الثقافية، مجلة علامات، ع23، 2002
16. عبد الله الغدامي: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق العربية الثقافية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط4 ، 2008.
17. عبد الله عبد الوهاب الأنصاري: الإيديولوجيا واليوتوبيا، في الأنساق المعرفية المعاصرة، (د.ط)، (د.ت).
18. علي حرب: أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر، مفارقة نقدية وسجالية، دار الطبعة، بيروت، لبنان، ط1، 1994
19. لحبيب سويدية الحرب القذرة، ترجمة روز مخلوف، دار ورد، سوريا، ط1، 2003
20. محمد الأمين بحري: بنية الخطاب المأساوي في رواية التسعينات الجزائرية، مذكرة دكتوراه جامعة الحاج لخضر باتنة، 2008-2009.

21. محمد سعيد فرح: مصطفى خلف عبد الجواد، علم اجتماع الأدب دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 2009.

22. منير مهادي: المتخيل السردي والتمثيل الثقافي، مجلة فلسفة السرد، الجزائر ط1، 2013

23. نزيه أبو نضال: التحولات في الرواية العربية، المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر، عمان الأردن ، ط1، 2006

- الفهـرس

- اهداء

- شكر و تقدير

- مقدمة ..... أ –ت

- مدخل علاقة الرواية بالسياسة ص5–10

الفصل الأول : التمثيل السردي للسياسة

1– مفهوم التمثيل ص13

2–أنواعه ص14–16

3–مفهوم الايديولوجية و علاقتها بالسياسة ص17–18

4–السياسة و الايديولوجية و علاقتها بالآدب.....ص19

الفصل الثاني: تمظهرات السياسة في رواية في عشق امرأة عاقر

1–تمهيد ص27–28

2–توظيف الأحداث السياسية و جماليتها في الرواية ص29–33

3–الغرض من توظيف الأحداث السياسية في الرواية ص34–39

4–اشكالية الهوية و علاقتها بالسياسة ص40–46

خاتمة ص47–48